ريال وشيمة رجال

تقدم رجلٌ اسمه (خليف) لخطبة فتاة من والدها فأجابه طلبه، وبعد ذلك سأل والد الفتاة الخاطب عن المهر الذي سوف يُقدمهُ، فقال له خليف:

إنّ المهر الذي سوف أُقدمهُ ثويراً (تصغير ثور)، فقال والد الفتاة:

قبلنا منك الثوير يا خليف، ثُمّ قال له:

متى تُحضر الثوير يا خليف؟

فقال:

قريباً جداً، وأُريد أن تعقد لي وسوف أُحضر الثوير فيما بعد!

قال والد الزوجة: زوّجتُك الفتاة وقبلنا الثوير مهراً لها.

وبعد ذلك تزوّج الرجل، ومازالت الزوجة تسأله عن مهرها (الثوير)، وزوجُها يقول لها: قريباً سوف ترينه.

وفي يومٍ من الأيام كان الرجل مع زوجته في المزرعة وفجأة سقط في بئر عميقة (وتُسمّى القليب)، وتأثرّ الرجل وأُصيب بإصابات بليغة)، فنظرت الزوجة إليه وقالت له:

أين الثوير يا (خليف). أشهد على الثوير أشهد على الثويرا.

عجباً يا زوجة (خليف) الرجل في لحظات الموت وأنتِ تسألين عن الثويرا

أعودُ لعنوان الموضوع (ريال وشيمة رجال)..

إنّ هذه العبارة يكثُرُ ذكرُها في بعض مجالس عقود الأنكحة، وأشعر أنّه عندما تُقال هذه العبارة في مجلس العقد أنّ والد الزوجة ووالدتها وجدتها وإخوانها قد جهزوا للخاطب طلبات مرهقة له تخالف هذه العبارة.

وإنّ هذه العبارة لها في بعض المجتمعات العربية ما يُشابهها.

وقد لاحظتُ ذلك كثيراً أثناء العقود حيث يُكثرُ الولي من قوله (ريال وشيمة رجال) وبعد ذلك يُحضرُ ورقة مكتوباً فيها على الجهتين مجموعةً من الطلبات التي تصل قيمتها ٢٠٠ ألف ريال أو مبلغاً قريباً من ذلك (وهذا ما جناه الزوج من قولهم: ريال وشيمة رجال).

إنّ الذي يباشر تسجيل وكتابة عقود الأنكحة يرى العجب العجاب، من المبالغة في مهر النّساء، ولا شكَّ أنّ في ذلك إرهاقاً للزوج المسكين الذي يتكلّف كثيراً في سبيل تحصيل مهر الزوجة، وإنّ المبالغة في المهر طريقٌ من طرق تأخير الزواج وسبب في ظاهرة العنوسة.

لقد كان من هديه ﷺ تيسير مهر الزواج بل حث عليه في حديثه الشريف، وعلينا أن نقتدي بهديه الشريف.

وإنني أدعو كلّ وليٍ من الأولياء لتيسير تكاليف الزواج، وعدم إرهاق الزوج بالطلبات التي تُحرجه لكي يتيسر زواج بناته، وعليه أن يحتسب الأجر في ذلك.

ولعلي أورد حادثة حصلتْ وهي تدل على أنّ بعض النّاس يضحي بالمال في سبيل الحصول على الزوج الصالح وهذه الحادثة واقعية ومن وحي الواقع:

دخلت امرأة أوربية في الإسلام عن طريق أحد الدعاة المخلصين في ذلك البلد الأوربي، وحسن إسلامها وتقدم لخطبتها رجلٌ مسلمٌ، فوافقت عليه، ولمّا جاء وقت عقد القرآن قال لها الشيخ الداعية:

كم نسجل الصداق (المهر)؟

فقالت: (I want man) أنا أريد رجلاً لا مالاً.

وبالفعل المطلوب الرجل الصالح الذي يحفظ للمرأة كرامتها ويُعطيها حقوقها.

إنّ الشرع المطهر قد جعل للزوجةِ الحق الكامل في المهر، وهو من حقها وليس لوالدها أو والدتها أو إخوانها أي حق فيه، ولكنّ المؤسف جداً في الموضوع أنّ والد الزوجة عندما يستلم المهر الذي قد بالغ فيه كثيراً يفرحُ به فرحاً شديداً، ويبدأُ في التصرف فيه، وقد تُشاركه والدتها وبعض إخوانها في هذا الصداق الخاص بالزوجة، وإذا تبقى منه القليل يُعطى للزوجة، ولا شك أنّ هذا التصرف من قبل الولي مخالف للشرع حيث جاء في القرآن ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾.

وليس معنى هذا أننا ندعو لجعل المرآة تتصرف في جميع ما كان لها من المهر من دون محاسبةٍ أو توجيه أو إرشاد، لأنّ بعض النّساء لا يُحسنّ التصرف في المال، وقد تصرف بعض النّساء المال بدون تعقل فيذهب في غير موضعه المناسب، لذا ينبغي التوسط في ذلك وذلك بإعطاء المرأة ما لها من مهر وجعل حرية الاختيار لها مع إعطائها التوجيه المناسب في ذلك.

في ختام هذا الموضوع أوجه نداء للآباء بأن يُسهلوا في مهر بناتهنّ امتثالاً لتوجيه النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم.

التعامل المثالي بين الأزواج

إنّ الشاب والفتاة يرغب كُلٌّ واحدٍ منهما في الاقتران بإنسان يقدّر الحياة الزوجية و يكونُ لديه الأحاسيس الصادقة والمشاعر الطيبة والوعي والإدراك بأهمّيّة الحياة الزوجية.

وتبدأ السعادة الزوجية من حين توفيق الزوج في الاختيار المناسب لزوجته وكذلك توفيق الزوجة في اختيار شريك حياتها.

لذا ينبغي لكل من الزوجين بذل الأسباب في اختيار الزوج الذي يملك الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن ومعرفة أنّ الرجل الذي يرضى دينه وأمانته هو المطلب وأنّ المرأة ذات الدين هي الأولى أن تنكح عن غيرها.

وقبل الشروع في الزواج ينبغي للزوجين وضع خطة مناسبة لمعاملة صاحبه لكي لا تكون هناك فرصة لاتخاذ قرارات غير مدروسة تؤثر على سير العلاقات الزوجية سلباً.

وينبغي لكل زوج أن يكون لديه عِلمٌ وثقافة واسعة في العلاقات الزوجية وأسرارها.

وينبغي أن تكون تلك العلاقة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- لا من الأفلام المتلفزة والروايات الهابطة التي لها فلسفة (فهم وطريقة) منحرفة في العلاقة والحياة الزوجية والتي تؤخذُ من عادات وتقاليد المجتمعات الكافرة البعيدة عن الإسلام.

إنّ الزوجين يستطيعان أن يجعلا حياتهما كلها سعادة متى ما أدى كل واحد منهما الدور المطلوب منه في الحياة الزوجية، وإذا قصّر أحدهما في الواجبات الزوجية فإن الحياة تنقلب رأساً على عقب وتتحول من السعادة إلى شقاوة ومن النعيم إلى جحيم.

إنّ من أسباب دوام السعادة للزوجين معاملة كلٍ منهما لشريك حياته بلطفٍ مستمد من الرحمة والمودة والشفقة والحنان، والبعد عن استخدام الأساليب العنيفة سواء أكانت تلك الأساليب لفظية أو فعلية مثل نظراتٍ بالعيون والتي تُعبر عن الامتعاض والغضب وعدم الرضا، وتعتبر من الغلظة التي نهى عنها الدين الحنيف.

وإنّ المتأمّل لهدي النّبي ﷺ مع زوجاته يجد أنه أجمل الهدي وأحسنه وأكمله فالمودة في تعامله مع زوجاته واضحة والرحمة ظاهرة، وكان من قوله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).

إنّ بعض الرجال يحطم طموح زوجته حيثُ إنّهُ لا يقابل محاولاتها لنيل إعجابه وكسب رضاه إلا بعبارات لا تليق أو تصرفات سيئة جداً، فبعض النساء تحاول أن تُجدد في حياتها، فمثلاً نجد أنها تحاول أن تلبس لزوجها لباساً جديداً مميزاً فيواجهها بعدم الاكتراث ولا تقابل منه ثناءً ولا مدحاً.

وإذا نظرنا إلى حال بعض الأزواج نجد أنّ بعضهم يقابل زوجته متى ما رأى منها محاولة التغيير في الملبس أو الأسلوب في الكلام بالذم والتحطيم وعدم المبالاة بما تصنع.

وإليك أيها القارئ الكريم موقفاً حدثنا به أحد الرجال الذين وقع لهم ذلك الموقف، يقول:

إنّه دخل البيت فرأى زوجته لأول مرة تلبس (بنطالاً) فضحك وقال لها:

والله كأنّك بهذا البنطال (جندي أول)! يقول: فانكسر خاطرها وقامت بتغيير ملبسها بعد ما رأت هذا التحطيم لها من زوجها الكريم.

وحدّث رجل أن زوجته (البدينة) - كما يسميها - سمعت أنّ بعض النساء يكسبن ود أزواجهنّ ببعض الأمور ومنها (الرقص) فقامت بتعلم الرقص، ولما حضر زوجها بدأت بالرقص له وأخذت تجتهد بالرقص فانبهر زوجها منها وقال لها:

والله إنك عندما رقصتِ ذكرتني (غسالة خالتي الأوتوماتيكية إذا اهتزت) فانكسر خاطرها بعد هذا التشبيه البليغ منه وربما قد تكون أعلنت عزمها على ترك الرقص وعاهدت نفسها بعدم العودة له مرة أخرى لما رأت هذا التحطيم من زوجها الكريم وعدم مراعاة مشاعرها.

وكذلك يوجد عند بعض النساء أساليب متعددة في تحطيم أزواجهنّ وحدث عن ذلك ولا حرج، من ذلك أنه عندما يحضر بعض الرجال أغراضاً للمنزل أو هدية من الهدايا لزوجته وربما اجتهد وتكلف مبالغ طائلة عند إحضاره لهذه الهدية وهذه الأغراض، لكنّهُ يفاجأُ بردة فعل ليست في محلها عندما يجد أنها لا تشكره على هذه الهدية وهذه الأغراض بل تبدي عيوباً فيها فيتفاجأُ الرجل بموقف زوجته ويتمنى لو أنه وفّر قيمة الهدية له.

وإن بعض الزوجات العاقلات من يكون لهنّ المواقف المحمودة في تقدير اجتهاد الأزواج لكسب رضا الزوجات.

وإنّ من الأسباب التي تجلب المحبة بين الزوجين نداء كل واحدة منهما بأحب الأسماء والألقاب إليه، فإن لذلك أثراً عظيماً في حصول المحبة والألفة، وبالضد من ذلك تلقيب أحد الأزواج بلقب مكروه (بعض الناس يطلق ألقاباً غير مرغوبة فيها وتسمى عند العوام (العياره) وهي من التنابز بالألقاب المحرمة في القرآن كما قال تعالى:

﴿ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات: ١١).

ولا بأس ببعض الألقاب التي ليس فيه انتقاص ولا سخرية والتي تأتي على سبيل المزاح والطرفة المعقولة والمقبولة عند الزوجين، وإنّ من الملاحظ على بعض الأزواج من الرجال أو النساء أنّه لا ينادي أحدهم صاحبه إلا بألقاب مكروهة ومشينة وهذا الأمر مرفوض وغير مقبول.

وإنّ من أسباب حصول السعادة الزوجية اتفاق آراء الزوجين، وذلك بعدم تدخل الأطراف الأخرى من أقارب الزوجة (الأم أو الأب أو هما معاً) أو تدخل والدة الزوج أو والده في الأمور التي تخص الزوجين، وإن تدخل والدة الزوجة أو الزوج في أمور الزوجين لهو الطامة الكبرى والكارثة العظمى، فكم طلقت من زوجة وشرّدت من أسرة بسبب تدخل الأطراف الأخرى في الحياة الزوجية لا سيما التدخل غير المحمود.

إنّ من أسباب حلول السعادة بين الزوجين تجلي معاني الرحمة بينهما.

وإن الرحمة في الحياة الزوجية لها مدلولات عديدة ومنها تقدير كل زوج حال صاحبه وما يؤثرُ عليه.

ونسمع عن بعض الزوجات إذا حضر زوجها للمنزل وأبدى مرضه تقابله بالتكذيب وتقول له:

(والله ما فيك إلا العافية) ولو رأته يتوجع ويتألم، لا تقدر مرضه وربما تقول له:

إذا ذهبت لأصحابك لا تشتكي من أي تعب وإذا حضرت في المنزل فدائماً تشتكي فيزداد بما قالت ألمه ومرضه.

إنّ بعض النساء - هداهن الله - لا يقدرن ما يتعرض له أزواجهنّ من الإرهاق والتعب، كما أنّ بعض الأزواج لا يقدر ما تتعرض له زوجته من الإرهاق من أعمال المنزل وتربية الأبناء والسعي في قضاء متطلباتهم، فيحضر للمنزل وإذا رأى زوجته تشتكي التعب والإرهاق قال لها:

وماذا صنعت حتى تتعبين كل هذا التعب؟

وإنّ ممّا يفسد الحياة الزوجية بعض الاجتماعات النسائية التي تدار فيها بعض الأحاديث التي تبث فيها بعض النساء الأفكار والتنظيرات والتحليلات التي تفسد ولا تصلح وكأنهنّ في هذا الاجتماع يُدرنَ برنامج وجهاً لوجه، حيث تقوم بعض النساء عند حضور صاحباتها لها (تجعل بيتها منبراً لمن لا منبر له) بتخبيب (إفساد) بعض الزوجات على أزواجهن وتتأثر بعض النساء سريعاً بهذا التخبيب والإفساد، فتذهب المرأة المتأثرة منهنّ إلى بيت زوجها قد وضعت في اعتبارها أنها ستلقنه درساً لن ينساه أبدا (قول وفعل) وتفاجئه ببعض الأساليب والطلبات غير المعقولة والمقبولة

وتنكد عليه عيشه حتى يحقق لها طلباتها والزوج لا يعرف ما سبب هذا التغير (المهم إنها أرته شغله) كما يقال! وتحصل بينهما مشاجرات تصل للسب والشتم وقد يقوم هذا الزوج بعد انفعاله بضربها ضرباً مبرحاً جزاءً لها وردعاً لأمثالها حيث إنّ خبرها سيصل لجلاجل!؟...

وإن ضرب الرجل لزوجته ضرباً مبرحاً نهى عنه الإسلام وتوجد البدائل المتعددة له، كما جاء ذلك في كتاب الله العزيز في قوله:

﴿ **وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً** ﴾ (النساء: ٣٤).

وإن من الرجال من يتأثر ببعض الأحاديث الرجالية التي تُدارُ في بعض المجالس حيث يتكلم بعض الرجال بكلام مبالغٍ فيه عن كيفية تأديب الزوجة وتربيتها فيأتي إلى المنزل ويريد أن يطبق ما سمعه في المجلس بحذافيره، فيحصل ما لا تحمد عقباه من المشكلات بينه وبين زوجته.

وإنّ الحياة الزوجية لا تكونُ على وتيرةٍ واحدة، وإنّما تكون متغيرة بحيث تكون في بعض الأحيان السعادة هي الحاضرة فيها، وفي بعض الأحيان يكون الشقاء هو الظاهر فيها، ولعل أعظم أسباب السعادة في الحياة الزوجية طاعة الله واتباع سنة رسوله ﷺ كما جاء في قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

وكما قال في كتابه العظيم: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٣، ١٢٤).

فالإنسان ما دام مُطيعاً لله سبحانه وتعالى عاملاً بأمره مُنتهياً عن نهيه فإنّه يعيشُ السعادة بمعناها الحقيقي، ويعيشُ حياةً زوجية عامرة بالسعادة بعيدة عن المكدرات والمنغصات التي تطرأ على الحياة الزوجية.

شهر العسل

في أول يوم من أيام الزواج تعثرت العروس ببعض أثاث غرفة النوم التي أمامها وسقطت وأحدثت بعض الأضرار بها، وذلك في حضرة الزوج، فقال لها العريس:

(بسم الله عليك ما تشوفين شر يا حياتي ويا بعد عمري ويا قلبي...).

وبعد ستة أشهر تعثرت العروس مرة أخرى ببعض أغراض المنزل ولم تسبب أي ضرر أو تلف أو خسارة فقال لها الزوج:

(ما تشوفين جعلك العمى)!!!.

يتمنى الشاب والفتاة أن تكون حياتهما كلها سعادة من أول لحظة إلى آخر لحظة لهما في الحياة، وهذا ممكن ويسير إذا كان

الزوجان عازمين على ذلك وبذلا الأسباب والطرق المؤدية إلى دوام السعادة الزوجية والابتعاد عن المكدرات والمنغصات.

ولا تكاد تخلو الحياة الزوجية من بعض المكدرات والمنغصات وتختلف قدراً بحسب أصحابها وأهلها والمؤثرات الطارئة.

ولا يظن إنسان أن الحياة كلها صافية أو أنّ كلها كدر، وإنما الحياة كما قال الشاعر أبو البقاء الرندي:

هي الأمور كما شاهدتها دول

من سره زمن ساءته أزمانُ

أو كما قال الشاعر الآخر:

وليس بدائمٍ أبداً نعيمُ

كذلك البؤس ليس له بقاءُ

ويقول الشاعر العربي:

ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى

من العيش ما يصفو وما يتكدرُ

وفي كثير من الـ[illegible]ت تبدأ الحياة الزوجية في شهرها الأول بالسعادة والسرور، ويتبادل الزوجان الاحترام والتقدير، وتبدو مظاهر الدلال والدلع بينهما واضحة وجلية، وربما يقول الزوج باستمرار لزوجته:

(يا خلف أمي وأبوي)، فترد الزوجة عليه بقولها:

(الله لا يحرمني منك) فنرى الزوج الكريم في أفضل حالة من الارتياح النفسي، ونجد أنه يسعى جاهداً لتقديم ما يستطيعه لإسعاد شريكة حياته متكلماً بعبارات لبقة وبكلمات عطرة، ونراه يحضر لزوجته ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات، وفي بعض الأحيان يطعمها بيده وبحنان وعطف، فيكون لتلك الحنية أثر عظيم على صحة الزوجة فيزداد وزنها في هذا الشهر شيئاً فشيئاً فتصبح وكأنها من رافعات الأثقال.

وكذلك الرجل ربما يجد من زوجته بعض الدلع والدلال والكلمة الطيبة فتتحسن صحته فتراه في هذه المدة فتشبهه بأحد أبطال كمال الأجسام أو بأحد أبطال مصارعة الوزن الثقيل.

وبعد انقضاء هذا الشهر تبدأ معركة خفيفة بين الزوجين وكأنك إذا نظرت إليهما ترى مشاجرة واقعة بين ديك ودجاجة أو قط وقطة! وسرعان ما تختفي بعض بوادر التقدير والاحترام والأسلوب الحسن والمعاملة الطيبة فترى الرجل يتذكر بعض التصرفات والتسميات التي كان والده يسميها لأمه ويبدأ يتصرف تصرفات والده (من شابه أباه فما ظلم) ويسمي ببعض تلك التسميات المأخوذة من قاموس والده، وكذلك الزوجة تتذكر بعض التصرفات التي كانت تتصرف بها أمها مع والدها وتبدأ تجربها على زوجها، وتبدأ معالم الانحدار في العلاقة الزوجية من أعلى إلى أسفل.

ونجد أن ذلك الدلال يتحول إلى شدة وغلظة وربما يقول الزوج بعد مدة من الزمن:

"وش ذي العلة اللي بلاني الله فيها) وقد تقول الزوجة بعدما يحصلُ لها بعض المضايقات من زوجها:

(وش ذي العقوبة) إلا إذا كان الزوجان يدركان خطورة هذا الانحدار الخطير، فيتداركان خطورة الأمر وتعود المياه إلى مجاريها بتلافي أسباب المشكلات المتعددة.

لماذا يحصل هذا التغير الطارئ والعاجل بعد انقضاء هذا الشهر المسمى بشهر العسل؟

إن حصر المتعة والسعادة الزوجية في هذا الشهر هو من أسباب حصول هذا التغير.

وكان المفترض أن نتخلص من هذه التسمية ونكون أكثر تفاؤلاً بهذه الحياة الزوجية وأن نضع في الاعتبار أنها حياة كلها سعادة وراحة وهناء، لا أظن أن الحياة الزوجية لها شهر واحد اسمه شهر العسل.

إن الحياة الزوجية في الإسلام كلها عسل وهناء وراحة نفسية متى ما بنيت على أسس من التفاهم وتجلت فيها معاني المودة والرحمة بين الزوجين الكريمين، وعندما يستطيعان دحر كيد الشيطان الرجيم وإبعاده، وذلك بوضع الحواجز والموانع في وجهه

والتي من أعظمها طاعة الله والاستعانة والاعتصام بحبله سبحانه، وملازمة كتابة والإكثار من ذكره واتباع سنة نبيه ﷺ.

وكذلك دراسة الواجبات الزوجية ومعرفة أسرارها لها دور كبير في تحقيق السعادة الزوجية واستقرارها.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

ذرية صالحة

جاء في الحديث النبوي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (رواه الترمذي بسند صحيح).

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦).

إن من أجل النعم التي امتنّ الله بها على عباده المؤمنين الزواج ومن بعده الإنجاب.

وقد يظنُّ إنسانٌ أن العبرة بالكثرة وهذا ليس بصحيح، إذ إن العبرة بالبركة كما جاء ذلك في الدعاء المبارك: "وبارك لي فيما أعطيت".

إن البركة شاملة جميع ما يُنعم به الله على العبد المسلم من مالٍ وزوجات وأبناء وغيرها من النعم.

إن المسلم الذي رزقه الله ذرية عليه واجبٌ عظيم هو من أعظم الواجبات وهو التربية الصالحة والتوجيه الحسن بما يُرضي الله سبحانه وتعالى.

وإن هذه الذرية ومعهم الزوجة أمانة يُسألُ عنها المسلم يوم القيامة.

إن بعض الرجال وبعض النساء يُفرّط ويُبالغُ في التفريط في قضية تربية أبنائه وقد يجني ثمرة تفريطه أمراً خطيراً من انحراف الأبناء وضياع مستقبلهم ويندم على ذلك التفريط.

وإن بعض الرجال يحزم حزماً شديداً ويغلو في تربية أولاده ولا يسلك الأسباب المعينة على التربية، ومنها الدعاء للأبناء بالهداية، وقد يغفل أن من أسباب الهداية توفيق الله، فليس علينا إلا النصح والإرشاد وهي هداية الدلالة والإرشاد، والهداية من الله -سبحانه وتعالى- فنوح عليه السلام لم يهد ولده، ونبينا محمد ﷺ لم يهدِ عمّه أبا طالب.

وقد يظنُّ بعض الناس أن التربية مجرد توفير المأكل والمشرب والملبس للأسرة، فيقوم بملء المنزل بالمواد الغذائية وإذا نظرت إلى مخزن الأطعمة في منزل ذلك الرجل تظنُّ أنك في محلٍ لبيع المواد الغذائية.

وتظهرُ أثار ذلك الاهتمام على وزن الزوجة والأبناء، ونجدُ أن ذلك الرجل يهتمُ بقضية ملبس أسرته اهتماماً كبيراً، فيشتري لهم أحدث موديلات الملابس، ويوفرُ لهم كذلك من وسائل الترفيه الشيء الكثير ولا يُقصر معهم في ذلك.

إن مسؤولية الوالد والوالدة عن تربية الأبناء لا تقتصر على قضية الملبس والمأكل والمشرب وإنما تتعدى ذلك إلى أمر عظيم وهو تربيتهم على طاعة الله وجعلهم يعيشون الحياة الطيبة التي تنحصر في طاعة الله سبحانه وتعالى ومحبته وصحبة رسوله ﷺ ومحبة دينه الحنيف والعمل وفق تعاليمه.

إن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يكونان أشد حرصاً على صلاح الأسرة ويدفعان الغالي والنفيس وجميع ما يملكان لصلاح أسرتهما.

وإن الأنبياء كانوا حريصين على صلاح ذريتهم حتى ولو كانوا على فراش الموت وقد جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ

بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٣).

وإن الذي يتدبر هذه الآية الكريمة يجد أن يعقوب عليه السلام كان يحرص أشد الحرص على قضية صلاح معتقد وعقيدة ذريته لأن صلاح العقيدة صلاحٌ للأخلاق والسلوك، وإنّ هذا الحرص لدى يعقوب عليه السلام في أيام صحته وكذلك في مرض موته عليه السلام وهذا الحرص من التربية الصالحة والتوجيه الحسن الذي ينفع في الدنيا والآخرة.

إن صلاح الأبناء لا ينفع في الدنيا فقط وإنما ينفع كذلك في الآخرة كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ (الطور: ٢١).

إن صلاح الذرية ينفع الوالدين في الدنيا وذلك ببر الأبناء بهما وطاعتهما ورعايتهما في حال الكبر والضعف والمرض.

وإنّ صلاح الأبناء ينفع حتى بعد الموت وذلك بدعاء الأبناء للوالدين كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له» (رواه البخاري في الأدب المفرد)، والولد يشمل الذكر والأنثى.

إن الله -سبحانه وتعالى- يذكر في كتابه أن عباده المؤمنين يسألونه أن يجعل لهم من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين بجعلهم للمتقين إماماً وذلك في هذه الآية الكريمة: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ (الفرقان: ٧٤).

إن تربية الزوج والزوجة البنات على الحشمة والحياء والستر والتأدب بالآداب الإسلامية وطاعة الله من التربية الصالحة التي دعا إليها الإسلام وحبب فيها.

وإن تربية الأبناء على المحافظة على شعائر الإسلام مثل الصلاة وقراءة القرآن والتأدب بآدابه والتمسك بسنة رسول الله ﷺ يُعدُ من التربية الحسنة من لدن ولي الأمر والتي يؤجر عليها الوالد يوم القيامة.

إن تمسك الزوجة والفتاة بالآداب الإسلامية من حجاب وحشمة وستر دليل على حسن التربية من الوالد، وإذا حصل الضد من ذلك فإنه يدل على سوء التربية والإهمال من قبل رب البيت وولي الأمر.

وإن الذي ينبغي للمسلم إدراكهُ أنّ إحسانه تربية الزوجات والأبناء يُساعد على تكوين أسرة مثالية يُشارُ لها بالبنان، وإنّ هذه الأسرة الصالحة تُساعدُ على صلاح المجتمع لأنها تعتبر لَبِنة من لبنات المجتمع، وما المجتمع إلا مجموعة من الأسر وكُلما زاد عددُ الأسر الصالحة في المجتمع كان ذلك من صلاح المجتمع.

إن أفضل طريقة لصلاح أهل البيت صلاح والدهم وولي أمرهم، فإذا صلح الرجل فإنّ أهل البيت يصلح أمرهم وإذا فَسد ربُ البيت فإن أبناءه وزوجته تبع له، وليس ذلك على إطلاقه فصلاح زوجة فرعون وفساد زوجة لوط عليه السلام يدلنا على أن الصلاح والهداية بيد الله، وإنما علينا بذل الأسباب.

مسابقة في الجري
بين الأزواج

جاء في كتب الحديث والسير أن رسول الله ﷺ سابق عائشة -رضي الله عنها- مرتين.

وكانت نتيجة ذلك السباق التعادل، حيث إن عائشة سبقت رسول الله ﷺ في السباق الأول، وسبق رسول الله ﷺ عائشة في الجولة الثانية وقال ﷺ: "هذه بتلك". وربما كان الرسول ﷺ قد تراخى معها في الجولة الأولى لتسبقه.

قال صاحب تحفة العروس معلقاً على مسابقة الرسول ﷺ لعائشة رضي الله عنها:

"لعل رسول الله ﷺ أراد بهذه المسابقة تعليم الزوجين استحسان استمتاع كلٍ منهما بصحبة شريك حياته، فيقومان ببعض أوجه اللهو والنشاط معاً كي لا تكون الحياة الزوجية جِداً على الدوام، فتكون مملة وتُصبح قيداً". انتهى كلامه.

هل يوجد مانع شرعي يحظر ممازحة الرجل زوجته وممازحة المرأة زوجها؟

لا يوجد في الشرع المطهر ما يمنع من ذلك وفق الضوابط الشرعية.

وهل فكر أحد من الرجال في مسابقة زوجته في الجري ومجاملتها في السباق بحيث يجعلها تسبقه ويعطيها بعض كلمات الثناء الحسنة وعلى سرعتها ويشبهها بالغزال السريع ليرفع من معنوياتها؟

ليس بالضرورة أن يقوم الرجل بمسابقة زوجته في رياضة الجري فقط، وإنما الأمر واسعٌ في ذلك فالمجالات كثيرة؛ فمنها المسابقات الثقافية ومسابقات الحاسب الآلي، وبعض الرياضات المناسبة للزوجين والألعاب المباحة شرعاً التي لا تصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

إن بعض الأزواج لا يُحاول التجديد في حياته الزوجية ويُصرُّ على العادات والتقاليد القديمة.

إن هذا الجمود وعدم التجديد في الحياة لدى بعض الناس يجعل حياته حياة كئيبة حزينة لا تُطاق.

ومن صور ذلك الجمود عدم سفر الزوج بزوجته خارج منطقته لتغيير الجو كما يُقال، ويرى أن السفر فيه إسراف وتبذير ويرى

أموراً أخرى، وهذا ليس بصحيح إذ إن السفر فيه تجديدٌ للحياة الزوجية وزيادة في المحبة والألفة.

ومن صور ذلك الجمود عدم الذهاب بالزوجة إلى خارج المنزل للتنزه في الحدائق والمتنزهات وبعض المطاعم مع المحافظة على الآداب الإسلامية والشرعية.

إنّ أي وسيلة مباحة تؤدي إلى زيادة أواصر المحبة والألفة بين الزوجين مطلوبة في الحياة الزوجية.

إن الحواجز والرسميات متى ما تواجدت في هذه الحياة الزوجية فإنها تُعتبر حياة مملة لا طعم فيها.

إن النفس تحتاجُ إلى ما يُرفهُ عنها ويُبعدها عن الروتين الممل في الحياة ويُخففُ عنها ما يأتي عارضاً من الهموم والضوائق النفسية.

إن الزوج الحكيم يستطيع بحكمته أن يكسب ود زوجته وحبها بأمورٍ لا تُكلفُه شيئاً كثيراً، ومن ذلك المزاح المناسب وإدخال الطرائف التي تُضفي على الحياة الزوجية الألفة وجو من المرح.

وكذلك الحال بالنسبة للزوجة الكريمة يُطلبُ منها ما يُطلبُ من الرجل في هذا الأمر.

إن بعض الأزواج لديه روحٌ مرحة يستطيعُ إضحاك الصخر الجامد، وهذا النوعُ من الرجال يُشارك بهذه الروح المرحة التي

لديه في تخفيف ما لدى الزوجة من الهموم والأسرة بشكلٍ عام، إذ إنه يصنع الطرفة من المواقف العادية، ويكون لذلك الرجل الأثر الأكبر في سعادة زوجته بشكل خاص وسعادة أسرته بشكل عام، وكذلك الحال عند بعض الزوجات المرحات فإن لهنّ دوراً بارزاً في سعادة أنفسهن وأزواجهنّ وأسرهن.

إن الزوج الذي يتعاملُ مع زوجته وأسرته معاملة رسمية ومعاملة جافة فإنه يدخلُ على أهل بيته دوائرَ من الأحزان ويجعل أهل بيته يعيشون الحزن والشقاء لأن البسمة غائبةٌ عنهم ولا يعرفونها حيث إن رب المنزل من المستحيل أن يبتسم لا مع الصغير ولا الكبير ولا القريب والبعيد، حتى إن بعض الناس يُسميه (بالوجه الودر وهذه التسمية من تسميات العوام)، ولا يتجاوب مع الفكاهة والطرفة أبداً وربما أنه يضحكُ مرة من المرات فتحتفل الأسرة بذلك، وربما أنه إذا ضحك وافترقت شفتاه إحداهما عن الأخرى للضحك والابتسامة من الصعوبة بمكان أن تعود إلى مكانها الأول إلا بعد تدخل الطبيب لأنه لم يتعود على الضحك، وتجدُ أن زوجته وعائلته يعيشون فصولاً من الأحزان.

وكذلك بعض النساء يُشاركن في إدخال جو من الحزن والكآبة على أسرهنّ وذلك لأن نفس الواحدة منهنّ لا تعرف البسمة ولا تحبُ السرور والبهجة، وربما أنها مع ذلك تتسببُ في كثير من المشكلات والتعقيدات داخل محيط الأسرة، وتُسببُ لزوجها حالة من الحزن والتعب النفسي.

ألم يتذكر الزوجان الكريمان حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال:

«تبسمك في وجه أخيك صدقة» أخرجه البخاري وابن حبان والترمذي، وقول الصحابي الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنه:

«ما رآني رسول الله ﷺ قط إلا وتبسّم» أخرجه البخاري وأحمد والطبراني.

قال الشاعر إيليا أبو ماضي:

أيهـــذا الشـــاكي ومـــا بك داءٌ

كـــيف تغـــدو إذا غـــدوت عليـــلا

إن شـــــر الجنـاة في الأرض نـفسٌ

تتـــوقى قـــبل الرحـــيل الرحـــيـــلا

وترى الشـــوك في الورد وتعـــمى

أن ترى فـــوقـــهـــا الندى إكليـــلا

هو عبءٌ على الحـــيـــاة ثقـــيلٌ

من يظنُّ الحـــيـــاة عـــبـــأ ثقـــيـــلاً

والذي نفـــســـه بغـــيـــر جـــمـــالٍ

لا يرى في الوجـود شـيـئـاً جـمـيـلاً

إن قضية الجمود وعدم التجديد في الحياة الزوجية قد تكون في بعض الأحيان ظاهرة، وتحتاج إلى علاج.

وإن من أنفع العلاج لها انشراح الصدر وتبديد الأحزان والقضاء على ما يُعكر صفاء النفس، وإن هذا كله يوجدُ في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ (النحل: من الآية ٩٧).

والله -سبحانه وتعالى- تكفل بجعل حياة من آمن وعمل عملاً صالحاً حياة سعيدة بعيدة عن الأحزان، وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ (الرعد: ٣٨).

أما في الحديث فقد قال ﷺ في الحديث الذي يرويه ابن عباس: «من لزِم الاستغفار جعل الله له من كلِ همٍّ فرجا» (أبو داود).

إن المسلم الملتزم بطاعة الله -سبحانه وتعالى- تجدُ نفسه مطمئنّةٌ وسعيدة، وينقل هذه السعادة للآخرين لأنه ينطبق عليه حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه: «لا يؤمنُ أحدكم حتى يُحبَ لأخيه ما يُحب لنفسه» (أخرجه مسلم وأحمد والدارمي).

الطباخ الماهر

إن الرسول ﷺ كان في خدمة أهله، يقم عنهم البيت، ويُقدّرُ ظروفَ أهلِ بيته وما يصيبُهم من الإرهاق والتعبِ.

ولم يقل إني أفضل الأنبياء والمرسلين وأنا خيرُ خلق الله، ولا يليقُ بي أن أساعد أهل البيت وهذه الأمور ليست من خصوصياتي وإنما هي من خصوصيات زوجتي بل كان يوصي بالنساء خيراً في أحاديثه وتوجيهاته النبوية.

وإن بعض الرجال لديه نفسٌ نرجسية، حيث يتعاملُ مع زوجته وأهل بيته بتعالٍ وتكبر، وهذا الأمر ليس من أخلاقيات المسلم المتمسك بأخلاق الإسلام والذي يقتدي برسول الله ﷺ.

إن من مقتضيات الرحمة التي وضعها الله بين الرجل وزوجته أن يُقدر الرجل ظروف زوجته الصحية والنفسية ومن التقدير

محاولة الرجل إكمال ما لدى الزوجة من القصور في أداء الواجبات المنزلية غير المتعمد منها بما يستطيع وغض الطرف عن بعض الأمور.

ومن ذلك إذا جاء إلى المنزل ووجد الزوجة لم تتمكن من طبخ الغداء إما لتعب شديد أو أن نفسيتها متعبة نجدُ أنه يتلفظُ عليها بألفاظ سوقية غير لائقة وربما قال:

(الله يقطع ذي العجوز ما صلحت لنا غداء)، وقد تأتي تعذرت ببعض الأعذار لكنه لا يقبل أعذارها ولا مبررات التقصير أبدا، وهذا لا ينبغي من زوج يُقدر الحياة الزوجية، وكان الأولى منه أن يتصل بأقرب مطعم للمثلوثة (ومطاعم المثلوثة صارت أكثر من أعداد المساجد) ويطلب ما يكفيهم من الأكل وينتهي الأمر، وليس للمشكلات أي داعٍ.

إن بعض الرجال لا يُقدرون أوضاع زوجاتهم الصحية ولا يقومون بمساعدتهنّ في أعمال المنزل عند الحاجة لذلك نجدُ أنه إذا كان في البر مع رفاقه يجعل من نفسه كالوالدة الحنون لرفاقه، لا يرضى أن يقوم أي أحد بمساعدته في تصليح القهوة والشاي والكبسة وبعد ذلك تغسيل أواني الطبخ وربما كان رفاقه يُطلقون عليه بعض الألقاب مثل:

(طير شلوى أو النّشمي أو الشقردي أو ما شابه ذلك من الأوصاف)، ولا شك أن أهل البيت أولى بالمساعدة من غيرهم.

إن بعض الرجال إذا رأى أو شعر بتعب زوجته من غير أن تطلب منه فإنه يسعى لراحتها ويُحضر بعض الأطعمة من المطاعم المناسبة (هذا عند الحاجة التي تدعو لذلك).

وإن بعض الرجال يتكفل بعملية الطبخ في بعض الأيام متى ما رأى من زوجته إرهاقاً وتعباً (وإن بعض الرجال يُجيدُ الطبخ أحسن من كثير من النساء)، وبعد انتهاء ذلك الرجال من طبخ الغداء أو العشاء يتلقى مجموعة من كلمات الثناء من الزوجة حيثُ تصفُه بأنه طباخٌ من الدرجة الأولى وطباخ ماهر (ولعل هذا الثناء دهاء من بعض النساء ليتشجع الرجل في المرات القادمة، وبعض الحريم حقيقة ما تنعطى وجه) وتقول له:

تسلم على هالطبخ الممتاز والله ما بقي إلا أن نأكل أصابعنا (ورى) الأكل، وربما يُصدقُ هذا المسكين ويستلم عدة أيام ويلبس ملابس المطبخ وربما إذا رأيته تظنُ أنه (شيف) لأحد أكبر المطاعم الشهيرة!

إن التقدير مطلوب من الرجال لزوجاتهم بشرط ألاّ يكون هناك تراخ أو تكاسل من الزوجة المحترمة، ويكون ذلك التعاون مع الزوجة عند بعض الظروف الطارئة فقط.

إن الذي يحبُ أن تكون عليه المرأة أن تكون جادة في أعمال منزلها ومصالح أبنائها، وإذا كان لها ظرفٌ صحيٌ عارض أو حالة نفسية عارضة يجبُ عليها توضيح ذلك الأمر لزوجها بطريقة

مناسبة لكي يقدر الزوج ظرفها، ويجبُ عليها ألا يكون تقصيرها في واجباتها المنزلية نابعاً من الكسل والتراخي.

وأختمُ بقوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً» (متفق عليه)، وبقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً: أحسنهم خُلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» (رواه الترمذي).